دلالة لفظ النهي عند الأصوليين
دراسة تطبيقية - نماذج من سورة الأعراف

د. عبد الله محمد محمود عبد الله (أبو الدرداء)

مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى تأصيل دلالة النهي في سورة الأعراف عند الأصوليين وإن علم أصول الفقه علم جليل القدر بالغ الأهمية عظيم الفائدة ومن أهم قواعده:

دلالة النهي إذ بمعرفة النهي يستطيع المسلم أن يميز بين الحلال والحرام ويكون في منأى عن سخط الله وعقابه.

وقد تطرقت في هذه الدراسة لأهمية الموضوع والمنهج الذي اتبعته ومشكلة الدراسة والإطار الحدودي للتطبيق وتطرقت الدراسة لتعريف النهي وتطبيقات هذه القاعدة في سورة الأعراف.

كما شملت الدراسة دلالة النهي بصيغة لا تفعل في سورة الأعراف

واختتمت الدراسة بخاتمة وأهم التوصيات والنتائج وقائمة ثبت المصادر والمراجع.

Abstract

This research aims to rooting Indication of prohibition at the fundamentalists in Surat Al-A'raf

The science of jurisprudence is the science of jurisprudence, great destiny science very important great interest. One of the most important rules is a sign of the prohibition, by knowing the prohibition, a Muslim can distinguish between Taboo and Taboos (Halal and Haram) , in the absence of the wrath of God and punishment

This study dealt with the definition of prohibition, the importance of the subject and the methodology followed, and the problem of research and the framework of the application, and the application of that rule in Surat Al-A'raf

The study also included the conclusion and the most important findings and recommendations and a list of proven sources and references.

المقدمــة:

الحمد لله أحمده حمد الشاكرين، هو أهل الحمد ومستحقه، لا إله غيره ولا رب سواه، مسدي كل نعمة، وميسر كل مهمة، لا سهل إلا ما جعله سهلًا، ولا خير إلا ما أعطى، ولا معطي لما منع فله الحمد أولًا وآخرًا.

وبعد.

فإن علم أصول الفقه علم جليل القدر، بالغ الأهمية عظيم الفائدة، ومن أهم قواعده دلالة لفظ النهي، إذ بمعرفة النهي يستطيع المسلم أن يبتعد عن معصية الله ويكون في منأى عن سخطه وعقابه. وقد يكون من نافلة القول الحديث عن مكانة وأهمية أصول الفقه باعتباره قواعد وضوابط كلية – تبين وتفسر نصوص الأحكام من الكتاب والسنة؛ اللذين إليهما مرد الشريعة الإسلامية في مصادرها الأصلية فالكتاب وهو مصدر الشريعة وأصل أصولها تناول الأحكام بطريقة يزينها طابع النهي، والإجمال والعموم والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيد.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كيفية التأكيد على أن قواعد هذا العلم التي وضعها علماء هذه الأمة يمكن تطبيقها تطبيقًا عمليًّا على نصوص الكتاب والسنة.

أهداف البحث:

يهدف البحث لإيجاد حلول علمية وعملية تتمثل في الآتي:

1. تطبيق قاعدة دلالة النهي على النصوص الشرعية.
2. فهم دلالة الألفاظ وهذا مطلب يسعى له الجميع.
3. لا يتم معرفة الحلال والحرام إلا بمعرفة دلالة النهي.

4.دلالة لفظ النهي قائم على التكليف في الشريعة الإسلامية

أهمية البحث:

إن أهمية الموضوع تنبع من أهمية علم أصول الفقه نفسه، ومع هذا فإن مواضيع الأصول تتفاوت لمزايا خاصة بها ولعل موضوع معرفة دلالة لفظ النهي وتطبيقها على النصوص الشرعية مقصد لكل دارس.

منهج البحث:

سلكت في هذه الدراسة منهج الاستقراء والاستنتاج المتضمن لاستقصاء المسائل، والاستنباط، والتحليل والترجيح، والجمع وذلك بعرض النصوص والأقوال في كافة المسائل وتتبع النتائج والفوائد.

حدود البحث:

تم تطبيق قاعدة دلالة لفظ النهي عند الأصوليين في سورة الأعراف.

تمهيد:

تعريف النهي في اللغة والاصطلاح:

النهي لغةً:

قال في اللسان: " نهى، ينهاه، نهيًا، فانتهى وتناهى أي: كف والاسم النهية ونفس نهاة منتهية عن الشيء والنهية والنهاية غاية كل شيء وآخره.[1].

وجاء في الصحاح: " النهي: خلاف الأمر. ونهيته عن كذا فانتهى عنه وتناهى، أي: كفَّ." [2]

وتناهوا عن المنكر، أي: نهى بعضهم بعضًا.

يقال: إنه لأَمُورٌ بالمعروف نَهُوٌ عن المنكر. وفلان ما له ناهية، أي نهيٌ.

والنُهية بالضم: واحدة النُهى، وهي العقول لأنها تنهى عن القبيح.

والنِّهْيُ بالكسر: الغدير في لغة أهل نجد. وتناهى الماء، إذا وقف في الغدير وسكن.

وتنهية الوادي: حيث ينتهي إليه الماء والجمع التناهى.

والإنهاء: الإبلاغ. وأنهيت إليه الخبر فانتهى و تناهى، أي: بلغ.

والنهاية الغاية، يقال: بلغ نهايته، والنُهية بالضم أيضًا مثله.

ويقال: هذا رجل ناهيك عن رجل، ونهيتك من رجل، ونهاك من رجل وتأويله أنه بجدِّه وغنائه ينهاك عن تطلب غيره.

ويقال: طلب الحاجة حتى نَهَى عنها أي: تركها، ظفر بها أو لم يظفر[3].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور مادة نهى،ج 5، ص 343، و انظر القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مادة نهى، ج4، ص400-401.

(2) الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتنصيف نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، د ت، ص 36.

وجاء في مقاييس اللغة. أنهيت إليه الخبر أي بلغته إياه، ونهاية كل شيء غايته. فإذا نهيته فانتهى عنك فتلك غاية ما كان وآخره. وفلان ناهيك عن رجل، كما يقال حسبك، وتأويله أنه بجدِّه وغنائه ينهاك أن تطلب غيره.

وناقة نهيَّة: تناهت سمنًا. والنهية العقل، لأنه ينهى عن قبيح الفعل والجمع نُهًى.

والنَّهْي والنِّهْي: الغدير، لأن الماء ينتهي إليه. وتنهية الوادي: حيث ينتهي إليه السيول. ويقال: إنَّ نِهاء النهار في ارتفاعه[4]..

النهي في الاصطلاح:

عرف النهي في الاصطلاح بأنه: اقتضاء كف عن فعل على وجه الاستعلاء[5].

شرح التعريف:

الاقتضاء جنسي يشمل اقتضاء الفعل "طلب الفعل" وكذلك اقتضاء الترك "كف" مخرج للأمر لاقتضائه غير الكف. على وجه الاستعلاء: مخرج للالتماس والدعاء لأنه لا استعلاء فيهما[6].

---

(3) الصحاح في اللغة والعلوم، ص 36.

(4) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج5، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1402هـ -1982م، ص

(5) المستصفى للغزالي، ص202، البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين بن بهادر، ج2، ص 426، روضة الناظر في نزهة الخاطر العاطر لابن قدامة ،ج2، ص111، التمهيد في أصول الفقه لمحفوظ أحمد ، ج1، ص 360، شرح الكوكب المنير للفتوحي 77/3، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 192، أصول الفقه الإسلامي للزحيلي، ص 232.

المبحث الأول

معاني النهي

النهي له صيغة واحدة وهي (لا تفعل) وترد هذه الكلمة لمعان كثيرة منها:

1- التحريم[7]: وذلك نحو قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)[8]. وقوله سبحانه: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)[9]. وقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)[10]. وقوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[11].

2- الكراهية[12]: نحو قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا، فإن أحدكم لايدري أين باتت يده) [13].

---

(6) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 192، أصول الفقه لإسلامي للزحيلي، ص233.

(7) المستصفى للغزالي، ص 202، منهاج الوصول للبيضاوي 53/2، الأحكام في أصول الأحكام للآمدي 187/2، التمهيد في أصول الفقه لمحفوظ أحمد،ج1،ص 360، البحر لمحيط في أصول الفقه لبدر الدين 428/2، شرح الكوكب المنير للفتوحي 178/3، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 192.

(8) سورة النساء، الآية 29.

(9) سورة الإسراء، الآية 32.

(10) سورة الإسراء، الآية 33.

(11) سورة الأنعام، الآية 152.

(12) منهاج الوصول للبيضاوي 53/2، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 187/2، المستصفى للغزالي، ص202.

(13) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب كراهية غمس المتوضي يده المشكوك في نجاستها في الإناء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر مسلم بشرح النووي 178/3.

ومثل له بعضهم بقوله تعالى: (ولا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ)[14].

3- التحقير[15]: نحو قوله تعالى: (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ)[16].

4- بيان العاقبة[17]: كقوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)[18].

5- الدعاء[19]: كقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَارَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)[20]. وكقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)[21].

6- اليأس[22]: كقوله تعالى: (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)[23].

---

(14) سورة البقرة، الآية 267.

(15) التمهيد في أصول الفقه لمحفوظ أحمد 360/1، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 187/2، شرح الكوكب المنير للفتوحي 79/3.

(16) سورة الحجر، الآية 88.

(17) المستصفى للغزالي، ص202، البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 428/2، أصول الفقه الإسلامي للزحيلي، ص233.

(18) سورة إبراهيم، الآية 42.

(19) المستصفى للغزالي، ص 204، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 187/2، التمهيد في أصول الفقه لمحفوظ أحمد 361/1، شرح الكوكب المنير للفتوحي 80/3، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 192، أصول الفقه الإسلامي للزحيلي، ص234.

(20) سورة البقرة، 286

(21) سورة آل عمران، الآية 8

(22) شرح الكوكب المنير للفتوحي 82/3، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193، أصول الفقه للزحيلي، ص 234.

(23) سورة التوبة، الآية 66.

7- الإرشاد [24]: كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)[25].

8- الأدب[26]: كقوله تعالى: (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)[27].

9- التهديد[28]: وذلك نحو قول السيد لعبده وقد أمره بفعل شيء ولم يفعله: لا تفعله[29] وكقولك لمن لا يمتثل أمرك: فإن عادتك أن لا تفعله بدون المعاقبة لا تمتثل أمري. [30]

10- الالتماس[31]: كقوله الإنسان لنظيره (لا تفعل) [32].

11- التصبر[33]: نحو قوله تعالى: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)[34].

12- إيقاع الأمن[35]: وذلك قوله تعالى: (وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِين)[36].

---

(24) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 187/2، البحر المحيط في أصول الفقه لبدرين 428/2، وشرح الكوكب المنير للفتوحي 81/3.

(25) سورة المائدة، الآية 101.

(26) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 428/2، شرح الكوكب المنير للفتوحي 81/3، إرشاد الفحول للشوكاني، ص193، أصول الفقه للزحيلي، ص 234.

(27) سورة البقرة الآية 237.

(28) التمهيد في أصول الفقه للمحفوظ 361/1، البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 429/2، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193.

(29) شرح الكوكب للفتوحي 81/3.

(30) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 429/2.

(31) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 429/2، شرح الكوكب المنير للفتوحي82/3.

(32) شرح الكوكب المنير للفتوحي 82/3.

(33) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 429/2، شرح الكوكب المنير للفتوحي 82/3.

(34) سورة التوبة، الآية 40.

(35) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 429/2، شرح الكوكب المنير للفتوحي 82/3.

(36) سورة القصص، الآية 31.

13- التسوية[37]: نحو قوله تعالى: (فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ)[38].

14- التحذير[39]: وذلك نحو قوله سبحانه وتعالى (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[40].

أقوال العلماء في دلالة صيغة النهي إذا تجردت عن القرائن:

اختلفت أقوال العلماء في دلالة صيغة النهي إذا تجردت عن القرينة إلى ستة أقوال:

القول الأول: إن صيغة النهي إذا تجردت عن القرينة فإنها تدل على التحريم[41] وهذا القول هو قول جمهور الأصوليين والفقهاء، ومنهم الأئمة الأربعة وقال الشافعي في إنكار قول من قال إنها الكراهة[42].

القول الثاني: إن صيغة النهي إذا تجردت عن القرائن فإنها تدل على الكراهة التنزيهية[43].

(37) شرح الكوكب المنير للفتوحي 83/3.

(38) سورة الطور، الآية 16.

(39) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 428/2، شرح الكوكب المنير للفتوحي 82/3.

(40) سورة آل عمران، الآية 102.

(41) منهاج الوصول للبيضاوي 49/2، البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2، شرح الكوكب لمنير للفتوحي 83/3، إرشاد الفحول، الشوكاني، ص192، أصول الفقه للزحيلي، ص 235.

(42) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين، 28426، شرح الكوكب المنير للفتوحي 81/3، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193.

(43) منهاج الوصول للبيضاوي 50/2، البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2، إرشاد الفحول للشوكاني 193.

القول الثالث: إن النهي للتحريم إذا كان الدليل قطعي الثبوت، قطعي الدلالة فإن كان الدليل ظني الثبوت أو ظني الدلالة فهو الكراهة[44] وهذا قول الحنفية[45].

القول الرابع: إن صيغة النهي إذا تجردت عن القرائن فإنها لا تقتضي التحريم ولا غيره (التوقف) [46] ونسب هذا القول للأشعرية [47].

القول الخامس: إن صيغة النهي إذا تجردت عن القرائن فإنها تكون بين التحريم والكراهة فتكون من المجمل [48].

القول السادس: إنها تكون للقدر المشترك بين التحريم والكراهة فتكون حقيقة في كل منهما [49].

أدلة تلك الأقوال

أدلة أصحاب القول الأول:

استدل أصحاب القول الأول: بأن (النهي المجرد يدل على التحريم) بأدلة منها:

أولًا: القرآن الكريم:

قوله سبحانه وتعالى: (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [50]. ووجه الدلالة من الآية أن الله أمر بالانتهاء عن المنهي عنه فيكون الانتهاء واجبًا [51].

---

(44) إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193 أصول الفقه للزحيلي 235.

(45) إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193.

(46) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2، شرح الكوب المنير للفتوحي 83/3.

(47) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2.

(48) شرح الكوكب المنير للفتوحي 83/3، إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193.

(49) شرج الكوكب المنير للفتوحي 83/3، إرشاد الفحول للشوكاني ، ص 193، أصول الفقه للزحيلي،، ص 234.

(50) سورة الحشر، الآية 7.

(51) منهاج الوصول للبيضاوي 49/2–50، البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 427/2، إرشاد الفحول للشوكاني،ص 193.

ثانيًا: السنة:

رجوع الصحابة في التحريم بمجرد النهي [52] ومن ذلك ما رواه عبدالله [53] ابن عمر قال (كنا نخابر [54] أربعين سنة لا نرى بذلك بأسًا حتى أخبرنا رافع بن خديج [55] أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فتركناها) [56].

ثالثًا: من العقل:

قالوا إن النهي حقيقة في التحريم ودليل ذلك أن العقل يفهم الحتم من الصيغة المجردة عن القرينة [57].

أدلة أصحاب القول الثاني ومناقشتها:

واستدل أصحاب القول الثاني بأن (الصيغة المجردة تدل على التنزيه) بأن النهي يقين في التنزية (الكراهة) تحمل عليه ولم يحمل على التحريم إلا بدليل [58].

---

(52) التمهيد في أصول الفقه لمحفوظ أحمد 362/1، البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2.

(53) عبدالله بن عمر بن الخطاب، أسلم وهو صغير وهاجر ولم يحتلم، أول غزواته في الخندق، من علماء الصحابة، روى علمًا كثيرًا، توفي سنة ثلاث وسبعين، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء 23/3 وما بعدها، أسد الغابة227/3 وما بعدها.

(54) المخابرة قيل هي المزارعة على نصيب معين كالثلث والربع وقيل من خبير (لإقرار النبي فيها في أيدى أهلها على النصف من محصولها)انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 7/2.

(55) رافع بن خديج بن عدي بن يزيد الأنصاري الخزرجي استصغر يوم بدر وشهد أحدًا والمشاهد، مات سنة أربع وسبعين وله ست وثمانون سنة، انظرالسير 81/3، أسد الغابة 151/2.

(56) رواه البخاري في الصحيح في البيوع باب ما جاء في أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضًا، في الزراعة والثمر والبخاري مع الفتح 23/5.

(57) إرشاد الفحول للشوكاني، ص193.

(58) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2، أصول الفقه للزحيلي.

وأجيب على هذا الاستدلال: بأن السابق إلى الفهم عند التجرد هو التحريم[59].

أدلة أصحاب القول الثالث ومناقشتها:

واستدل أصحاب القول الثالث بأنه (إذا كان الدليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة فهو للتحريم..) بأن الدليل إذا كان قطعيًّا فهو للتحريم، و إن كان ظنيًّا فهو للكراهة[60].

وأجيب على هذا الاستدلال: بأن النزاع إنما هو في طلب الترك، وهذا الطلب قد يستفاد بقطعي فيكون قطعيًّا، وقد يستفاد بظني فيكون ظنيًّا[61].

أدلة أصحاب القول الرابع ومناقشتها:

واستدل أصحاب القول الرابع (التوقف) بأن لفظ النهي يرد والمراد به التنزيه ويرد والمراد به التحريم، فيكون موقوفًا لا يقتضي التحريم ولا غيره إلا بدليل[62].

وأجيب عن هذا الاستدلال: بأنه قد دل الدليل على أن صيغة النهي إذا تجردت عن القرائن تدل على التحريم كما سبق[63].

أدلة أصحاب القول الخامس ومناقشتها:

واستدل أصحاب القول الخامس بأنها (تكون بين التحريم والكراهة) وقالوا إن لفظ النهي يرد ويراد به التحريم ويرد ويراد به الكراهة فتكون الصيغة من

---

(59) إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193.

(60) إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193، أصول الفقه للزحيلي، ص 235.

(61) إرشاد الفحول للشوكاني، ص 193.

(62) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين 426/2، التمهيد في أصول الفقه لمحفوظ 363/1.

(63) انظر أدلة القول الأول.

المجمل[64]. وأجيب عن هذا الاستدلال بأن الأدلة قد دلت على أن صيغة النهي إذا تجردت دلت على التحريم[65].

أدلة أصحاب القول السادس ومناقشتها:

واستدل أصحاب القول السادس بأنها (للقدر المشترك بين التحريم والكراهة) وهو مطلق الترك بأن الصيغة ترد بهما فتكون مشتركة بينهما، ولا يتقين أحدهما إلا بدليل، وإلا أن جعلهما لأحدهما ترجيحًا من غير مرجح[66].

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن صيغة النهي إذا تجردت فإن العقل يفهم منها الحتم، وكذلك قد دلت الأدلة على أنها إذا تجردت دلت على التحريم[67].

وبعد سرد هذه الأدلة ومناقشتها، فالذي يتبين رجحانه هو القول الأول وهو قول الجمهور، لظهور أدلته ولأن السلف فهموا التحريم من إطلاق النهي المجرد عن القرائن، والله تعالى أعلم.

(64) شرح الكوكب المنير للفتوحي83/3.

(65) انظرأدلة القول الأول.

(66) إرشاد الفحول للشوكاني، ص 93.

(67) انظرأدلة القول الأول.

المبحث الثاني

تطبيقات على قاعدتي صيغ وردود النهي،ودلالة صيغة النهي المجردة

أولًا: ورود النهي بمعنى التحريم:

قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)[68]. ففي الآية نهي من الله تعالى للأمة عن اتباع غير الكتاب والسنة وقيل لاتعبدوا معه غيره، ولاشك في أن النهي للتحريم. لأن كل من عدل عن دين الله ورضي مذهبًا غيره فأهل ذلك المذهب أولياؤه، لأنهم لا يأمرونه إلا بالشرك والشر والفساد، وقيل هم رؤساء الضلال في قريش. والعبرة لعموم اللفظ[69].

ثانيًا: ورود الأمر بمعنى الندب:

قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[70]. في الآية ندب للأكل والشرب دون سرف، وذلك لأن بني عامر كانوا لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتًا، ولا يأكلون دسمًا، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يارسول الله. فأنزل الله عز وجل: (وكلوا و اشربوا) وروى ابن جرير قال: أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفًا أو مخيلة. وهذا لإباحة كل ما اعتادوه، وقال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفًا أو مخيلة[71] فأما ما تدعو الحاجة إليه وهو

---

(68) سورة الأعراف، الآية 3.

(69) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 162/7، أيسر التفاسير للجزائري 151/2.

(70) سورة الأعراف، الآية 31.

(71) المخيلة: الكبر.

ما سد الجوعة وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلًا وشرعًا، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس[72].

ثالثًا: ورود الأمر بمعنى الاستحباب:

قوله تعالى: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)[73]. الأمر في الآية للاستحباب، والمعنى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من خصائصه، فإنه مشروع لأمته، والأمر بالذكر كما قال الزمخشري[74] هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك. وقال بعض الزيدية: هذا الأمر إن أريد به الدعاء أو الذكر باللسان، فهو محمول على الاستحباب.

رابعًا: الأمر بمعنى الإرشاد:

قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)[75]. في الآية أمر من الله تعالى لعباده بأن يستقبلوا القبلة في كل صلاة وفي كل مسجد، قال مجاهد[76]

(72) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 191/7.

(73) سورة الأعراف، الآية 205.

(74) الإمام الزمخشري: هو أبوالقاسم الزمخشري محمود بن عمر الخوارزمي النحوي اللغوي المفسر المعتزلي صاحب الكشاف والمفصل، عاش إحدى وسبعين سنة، صنف عدة تصانيف سقطت رجله فكان يمشي في جاون خشب وكان داعية إلى الاعتزال، كثير الفضائل، توفي سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، انظر ترجمته، في سير أعلام النبلاء، ج5، ص 93.

(75) سورة الأعراف، الآية 29

(76) مجاهد: هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي المخزومي إمام وحجة في التفسير، ولد سنة 21 هـ، توفي بمكة سنة 104 هـ، حدث عن ابن عباس وعائشة وعكرمة، انظر تذكرة الحفاظ، ج2، ص243.

السدي[77]: " وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وفيه إرشاد للصلاة مع الجماعة، قال الضحاك: " المعنى: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند المسجد فصلوا فيه. ولا يقولن أحدكم: أصلى في مسجدي أو مسجد قومي ففي الآية إرشاد للصلاة مع الجماعة وفي كل مسجد حضرتك الصلاة فيه "[78].

خامسًا: الأمر بمعنى الإكرام:

قوله تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)[79]. في الآية تذكير لبني إسرائيل بحادثة حدثت لأسلافهم ظهر فيها إكرام الله لهم ووعدهم بزيادة على المغفرة للخطايا بما يتفضل عليهم من النعم[80].

سادسًا: ورود الأمر بمعنى التعجيز:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[81]. الأمر في قوله (فادعوهم) للتبكيت والتعجيز قال شيخ المفسرين الطبري: " يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان موبخًا لهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: إن الذين تدعون

---

(77) السدي: بالدال المهملة هو إسماعيل بن عبدالرحمن ابن أبي كريمة موسى بن هاشم وقيل مولي زينب بنت قيس بن مخرمة أبو محمد الأعور السدي، عرف بذلك لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له السدة، توفي سنة تسع وعشرين ومائة في ولاية بني مروان، انظر ترجمته في مغاني الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار لبدر الدين العيني، ج1، ص 54.

(78) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 188/7، محاسن التأويل للقاسمي 52/7.

(79) سورة الأعراف، الآية 161.

(80) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 188/7، محاسن التأويل للقاسمي 52/7.

(81) سورة الأعراف، الآية 194.

أيها المشركون آلهة من دون الله، و تعبدونها شركًا منكم، وكفر بالله، عباد أمثالكم يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك، فإن كنتم صادقين أنها تضر أو تنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعاكم إذا دعوتموهم.

فإن لم يتسجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر، لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكى إليه من شيء سمع فضر من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضر "[82].

قال القاسمي[83] في الآية:" أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد أمثالكم أي مخلوقات مماثلة لكم (فادعوهم) أمر تعجيز و تبكيت "[84].

سابعًا: ورود الأمر بمعنى الدعاء:-

قوله تعالى: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)[85]. الأمر في الآية بمعنى الدعاء، إذ أن سحرة فرعون لما آمنوا وتوعدهم فرعون بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم، دعوا الله تعالى أن يثبتهم وينصرهم فقالوا: ربنا أفرغ علينا

(82) جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري، ج3، ص 80.

(83) القاسمي هو العلامة محمد بن يحيى القاسمي الحسني المعروف بمؤمن آل الرسي أخذ عن السيد الحسن ابن المهدي الهادي والإمام محمد بن المطهر وغيره انظر ترجمته في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني، ج3، ص 71.

(84) محاسن التأويل للقاسمي 321/7.

(85) سورة الأعراف، الآية 126.

صبرًا أي عظيمًا، وأنزل علينا حبيسًا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون إيانًا، وأقبضنا إليك على الإسلام[86].

ثامنًا: الأمر بمعنى الخبر:

قوله تعالى: (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)[87]. هذا خبر من الله تعالى عن قول أهل الجنة للكافرين يقول تعالى ذكره: فأجاب أهل الجنة أهل النار: إن الله حرمهما على الكافرين، الذين كفروا بالله ورسله ولما أخبر تعالى عن خسارتهم في الآخرة ذكر أنه منَّ عليهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب[88]

تاسعًا: ورود الأمر بمعنى السخرية:

قوله تعالى: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)[89]. الأمر في الآية بمعنى السخرية وذلك لما وبَّخ لوط عليه السلام قومه على فعلهم القبيح أخرجوهم لأنهم يتنزهون عن فعل الفاحشة، سخرية بهم أي: قالوا ذلك على طريق السخرية والاستهزاء[90].

(86) جامع البيان لابن جرير الطبري، 24/6، تيسير الكريم الرحمن للسعدي 385/1.

(87) سورة الأعراف، الآية 51.

(88) انظر جامع البيان للطبري 201/5، محاسن التأويل للقاسمي 94/7.

(89) سورة الأعراف، الآية82.

(90) محاسن التأويل للقاسمي 198/7، تيسير الكريم الرحمن للسعدي 378/1، فتح القدير للشوكاني 222/2.

عاشرًا: ورود الأمر بمعنى التكذيب:

قوله تعالى: (قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)[91]. في الآية أمر من فرعون لموسى عليه السلام بقوله: (فأت بها) للتكذيب، لأن في الآيات السابقة لهذه الآية يقول تعالى: (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين). أي انظر ياموسى إلى عاقبة المكذبين بالآيات، الكافرين بها وجلهم مفسدون، لأن تكذيبهم وكفرهم من أقبح أنواع الفساد، لأن موسى عليه السلام قال لفرعون وملئه: قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد به القوم على صحة ما أقول، فقال له فرعون مكذبًا: إن كنت جئت بآية، تكون حجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول فأتِ بها إن كنت من الصادقين[92].

حادي عشر: ورود الأمر بمعنى الالتماس:

قوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ)[93]. في هذه الآية يخبر الله تعالى أن موسى عليه السلام لما ذهب لملاقاة ربه تعالى استخلف في بني إسرائيل أخاه هارون وأوصاه بالإصلاح، فالأمر في الآية بمعنى الالتماس[94]. أي التمس منه الإصلاح.

(91) سورة الأعراف، الآية 106.

(92) انظر فتح القدير للشوكاني 231/2، جامع البيان للطبري 14/6.

(93) سورة الأعراف، الآية 142.

(94) محاسن التأويل للقاسمي 245/7، أيسر التفاسير للجزائري 234/2.

المبحث الثالث

هل النهي يقتضي الفساد؟

أقوال العلماء:

اختلف العلماء عليهم رحمة الله في هذه المسألة:"(اقتضاء النهي الفساد) وأن خلافهم في أثر النهي في المنهي عنه في المعاملات.

وتفصيل القول في أثر النهي في الأحكام الشرعية ما يأتي:

أولًا: قال بعض الأصوليين إن النهي في الأمور الحسية (وهي التي تعرف بالحسي، والتي لها وجه حسي فقط، كالزنا والقتل وشرب الخمر والغيبة والكفر) إن النهي يدل على الفساد فيها، لأن النهي عن الأفعال الحسية دليل على كونها قبيحة في ذاتها، إلا إذا قام الدليل على خلافه، أي كونها قبيحة لمعنًى لا في ذاتها، وإنما لما يترتب عليه من أذى بدليل قوله تعالى: (قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)[95].

ثانيًا: اتفق الأصوليون أيضًا على أن النهي عن التصرفات الشرعية (التي لا تعرف إلا عن طريق الشرع) يدل على البطلان، إذا كان المنهي متوجهًا إلى المحل المعقود عليه، كالنهي عن بيع الجنين في بطن أمه[96]،

(95) سورة البقرة، الآية 222.

(96) روى البخاري في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نهي عن بيع حبل الحبلة) قال الحافظ: أن تنتج الناقة ما في بطنها. وقيل أن يبيع بثمن إلى أن يلد ولد الناقة (البخاري مع الفتح 358/4).

والنهي عن بيع الزرع المعين قبل وجوده لأنه معدوم، والعقد لا يقوم إلا بالمحل[97].

ثالثًا: اختلف العلماء في أثر النهي عن التصرفات الشرعية، إذا كان الأمر متجهًا إلى أمر مقارن للعمل غير لازم له: أي تعلق النهي بمعنى في غير المنهي عنه، كالصلاة في الدار المغصوبة أو الصلاة بالثوب المغصوب، أوالمسروق أو الوضوء بماء مغصوب، أو الذبح بسكين مغصوبة، والبيع وقت الآذان لصلاة الجمعة. فذهب الجمهور إلى أن النهي لا يقتضي بطلان العمل. ولا فساده، بل يبقى العمل صحيحًا ولكنه يكون حرامًا عند الأكثرين و مكروهًا عند الحنفية[98].

وذهب الظاهرية والحنابلة إلى أن النهي يقتضي بطلان المنهي عنه[99].

أدلة تلك الأقوال:

أدلة أصحاب القول الأول: (النهي لا يقتضي الفساد)

استدل الجمهور بأن النهي لا يرجع إلى المنهي عنه بدليل أنه ممنوع من الجلوس في الدار المغصوبة في غير صلاة وممنوع من لبس القميص المغصوب وشرب الماء المغصوب، وإذا لم يرجع النهي إليه لم يؤثر في المنهي عنه، كما لو صلى وعنده وديعة قد طولب بها، فلم يسلمها مع سعة الوقت، أو

(97) المستصفى للغزالي، ص 221، منهاج الوصول للبيضاوي 55/2، الأحكام في أصول الأحكام للآمدي 190/2، روضة الناظر للمقدسي 112/2.

(98) منهاج الوصول للبيضاوي 253، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج1، ص 327-328، البحر المحيط في أصول الفقه للبدر الدين 439/2، إرشاد والفحول للشوكاني، ص195، أصول الفقه للزحيلي، ص238، إمتاع العقول لعبد القادر شيبة الحمد، ص14.

(99) انظر المرجع السابق.

طلق امراته في حال حيضها، أو ذبح بسكين غصب أو بسوط غصب أو استام على سوم أخيه، أو توضأ بما يملكه في أرض مغصوبة، فإن هذه الأفعال كلها صحيحة وإن كان ممنوعًا عنها في هذا الحال[100].

أدلة أصحاب القول الثاني: (اقتضاء النهي الفساد):

استدل الحنابلة والظاهرية لمذهبهم (النهي تقتضي الفساد مطلقًا):

أولًا: بحديث عائشة[101] رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد " [102] قالوا: ردٌّ، معناه: مردود، وما كان مردودًا على فعله فكأنه لم يوجد.

اعترض عليهم الجمهور في هذا الاستدلال وقالوا رد معناها ليس بمقبول قربة ولا طاعة.

أجابوا عن هذا الاعتراض، قالوا مردود يقتضي رد ذاته فإن لم يكن اقتضى رد ما يتعلق به ليكون وجوده وعدمه واحدًا[103].

---

(100) أصول الفقه الإسلامي للزحيلي، ص 238، إرشاد الفحول للشوكاني ، ص 195، المستصفى للغزالي، ص222-223.

(101) أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهر نسائه، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، كناها أم عبد الله، أفقه النساء، و أعلمهن توفيت سنة سبع وخمسين، انظر ترجمتها في أسد الغابة 504/5، تقريب التهذيب 750.

(102) رواه البخاريفي الصحيح، كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، البخاري، مع الفتح 317/13، ومسلم في الصحيح في كتاب الأقضية، باب رد محدثات الأمور من حديث عائشة أيضًا مسلم بشرح النووي، 16/13.

(103) روضة الناظر مع النزهة للمقدسي 114/2، التمهيد في أصول الفقه لمحفوظ أحمد371/1، شرح الكوكب المنير للفتوحي 85/3.

ثانيًا: أن الصحابة رضي الله عنهم استدلوا على فساد العقود بالنهي عنها، فاستدلوا على فساد عقود الربا بقوله صلى الله عليه وسلم (لاتبيعوا الذهب بالذهب إلامثلًا بمثل) [104].

و قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ)[105]. في نكاح المحرم بالنهي الوارد في ذلك[106]، وفي بيع الطعام قبل قبضه بالنهي في ذلك[107] وغير ذلك[108].

و اعترض عليهم في الاستدلال: بأن هذا يصح من بعض الأمة، أما من جميع الأمة فلا يصح ولا حجةفي قول البعض، نعم يتمسك به في التحريم والمنع أما في الفساد فلا[109].

(104) رواه البخاري في الصحيح في كتاب البيوع، باب بيع الذهب بالذهب من حديث أبي بكرة، البخاري مع الفتح 379/41، ومسلم في الصحيح كتاب البيوع باب الربا، مسلم بشرح النووي26/11.

(105) سورة البقرة، الآية 221.

(106) رواه مسلم في الصحيح في كتاب البيوع، باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لاينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب "مسلم بشرح النووي 193/9 ورواه أبو داود في السنن في المناسك باب المحرم يتزوج من حديث عثمان أيضًا، 169/2، والترمذي في المسنن في المناسك باب كراهية تزويج المحرم، من حديث عثمان 167/2.

(107) رواه البخاري في الصحيح في البيوع باب بيع الطعام قبل أن يقبض وبيع ما ليس عندك، من حديث ابن عمر " من ابتاع طعامًا فيها بيعة حتى يقبضه " البخاري مع الفتح 349/4، ومسلم في الصحيح في البيوع باب بطلان بيع المبيع قبل قبضه، مسلم بشرح النووي 68/9.

(108) روضة الناظر مع النزهة للمقدسي 114/2.

(109) المستصفى للغزالي، ص 222.

ثالثًا: أن النهي عن الشيء يدل على تعلق المفسدة به أو بما يلازمه لأن الشارع حكيم لا ينهى عن المصالح، إنما ينهى عن المفاسد وفي القضاء بالفساد إفساد لها بأبلغ الطرق(110).

ومعنى ذلك أن المفسدة ضرر على الناس في المعاملات، ويجب أن تنزه عنها العبادات، وإعدام الضرر مناسب شرعًا وعقلًا عملًا بقوله صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار "(111).

(110) روضة الناظر مع النزهة للمقدسي 114/2.

(111) رواه ابن ماجة في السنن في كتاب الأحكام باب من نبي في حقه ما يضم جاره من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه 784/2، ورواه الإمام مالك في الموطأ، ص409 القضاء في المرفق والحاكم في المستدرك 57/2-58، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي ورواه الإمام أحمد في المسند327/5 وانظر روضة الناظر مع النزهة للمقدسي.

المبحث الرابع

النواهي في سورة الأعراف بغير صيغة (لا تفعل)

تطبيقات تلك القاعدة في سورة الأعراف

وجاءت التطبيقات في الضروب الآتية:

الضرب الأول: ما جاء مجيء ذم الفعل:

وأمثلة هذه القاعدة في سورة الأعراف:

أولًا: قوله تعالى: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[112]. في هذه الآية إخبار من الله تعالى بأن قريشًا كانوا يطوفون بالبيت عراة، و قيل ما تناهى قبحه من الذنوب، كالشرك وغيرها، ونهوا عنها فاحتجوا على ذلك بتقليدهم أسلافهم، وبأن الله أمرهم بها، أي أقرهم عليها، إذ لو كرهها لنقلنا عنها فأبطل الله تعالى هذا الفعل بقوله (إن الله لا يأمر بالفحشاء) أي هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة والله لا يأمر بمثل ذلك، لأن عادته سبحانه تعالى جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال. (ثم أنكر عليهم إضافتهم الأمر بالفحشاء إليه سبحانه، يتضمن النهي عن الافتراء عليه سبحانه)[113].

ثانيًا: قوله تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)[114]. وفي هذه الآية ذكر لقصة لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

---

(112) سورة الأعراف، الآية 28.

(113) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 187/7، أيسر التفاسير للجزائري163/2، محاسن التأويل للقاسمي 48/7.

(114) سورة الأعراف، الآية 80-81.

* هذه الأرض هي أرض الكنعانيين وسكانها خليط جلهم كنعانيون.

وهو ابن أخ إبراهيم الخليل عليهما السلام. وكان قد آمن مع إبراهيم عليهما السلام، وهاجر معه إلى الشام، وتوطنا بلد الكنعانيين من فلسطين، ثم حدثت مشاجرة بين رعاتهما فنزح لوط إلى وادي الأردن، وسكن مدينة سدوم* فبعثه الله إلى أهلها وإلى ما جاورها من القرى فصار يدعوهم إلى الله تعالى و يأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والفواحش التي اخترعوها، ولم يسبقهم بها أحد من العالمين من بني آدم، ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور.

وواصل إنكاره هذا المنكر موبخًا هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه أحد غيرهم. وإلا فإن الشهوة من النساء هي المفطور عليها الإنسان، لا أدبار الرجال، ولكن الإجرام والتوغل في الشر والفساد والإسراف في ذلك، و إسراف صاحبه لا يقف عند حد.

قال ابن كثير:" وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنعه أهل سدوم، عليهم لعائن الله. قال عمرو بن دينار[115] ما نزل ذكر على ذكر، حتى كان قوم لوط. وقال الوليد بن عبدالملك[116]. باني جامع دمشق لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط، ما ظننت أن ذكرًا

(115) عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي الإمام الكبير أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه، ولد في إمرة معاوية سنة خمس أو ست وأربعين هجرية، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ج5، ص 300.

(116) الوليد بن عبدالملك بن مروان أبو العباس من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه سنة 586هـ، كان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد توسعت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند وبنى المسجد الأقصى في القدس وبنى مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي، توفي بدمشق وكانت مدة خلافته 9 سنين وثمانية أشهر.، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، ج8، ص 121.

يعلو ذكرًا، ففي الآيات نهيٌ عن فاحشة اللواط وتحذير الأمة من الوقوع فيها حتى لا يحل بهم ما حل بقوم لوط[117].

3/ قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ* ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[118]. في الآية بيان من الله تعالى للناس سنته في الأمم السابقة ليكون ذلك عظة لكفار قريش وذكرى للمؤمنين أي: ما أرسلنا في قرية أي الحاضرة وهي العاصمة من كبريات المدن حيث الكبراء والرؤساء فكذب أهلها إلا أخذناهم أي قبل الإهلاك الكلي، بالبؤس وشظف المعيشة وضيقها، والضر وسوء الحال في أسباب دنياهم كل هذا ليتضرعوا إلى ربهم ويستكينوا إليه وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم فيؤمنوا.

(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء إلى يسر ورضاء وعافية وهناء فتكثر أموالهم وأولادهم ويعظم سلطانهم، (حتى عفوا) أي كثروا ونمو في أنفسهم وأموالهم، ويقولون عندما يوعظون ويذكرون ليتوبوا فيؤمنوا ويتقوا (قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي نحن مثلهم وما هناك ما تخوفوننا إنما هي الأيام هكذا دول يوم عسر وآخر يسر، تتعاقب في الناس بين الضراء والسراء، فصبر أباؤنا على دينهم، فنحن نقتدي بهم وما هو بابتلاء من الله لعباده تصديقًا لوعد الرسل فازدادوا كفرًا بعد الإعلام القولي والفعلي والمعنوي، و إن الله تعالى ابتلاهم بالسيئة لينيبوا إليه، فما فعلوا. وإذا لم ينجح فيهم هذا ولا ذاك، فلم يبق إلا أن يأخذهم بالعذاب وقد فعل.

(117) أيسر التفاسير للجزائري 199/2، محاسن التأويل للقاسمي 195/7-196، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ص 7.

(118) سورة الأعراف، الآية 94-95.

قال ابن كثير:" المؤمن يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء، فيشكر الله على السراء، ويصبر على الضراء. وفي الصحيحين [119]. " عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له... وهكذا سنة الله في عباده مناوبة السراء والضراء تدور مع فعل المكلفين ففي الآيات ذم لفعل الكافرين وذكرى للمؤمنين"[120].

قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[121].. بعد أن ذكر الله تعالى عاقبة أهل القرى على كفرها وعصيانها، فتح الله تعالى باب التوبة والرجاء لعباده في هذه الآية فقال: (ولو أن هل القرى) أي القري المهلكة، آمنوا بالله ورسوله، واتقوا الكفر والمعاصي لوسعنا عليهم الخير، ويسرناه لهم من كل جانب، فكان ما أصابهم من فنون العقوبات، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض فأرسل السماء عليهم مدرارًا، وأنبت لهم من الأرض، بأن يعيشوا في أخصب عيش، و أرغد رزق من غير عناء ولا تعب، ولا كدر ولا نصب، ولكن كذبوا، فأخذناهم بالعقوبات والبلايا، ونزع البركات، وكثرة الآفات وهي بعض جزاء أعمالهم من الكفر والمعاصي. ففي الآية ذم فعل المشركين وتحذير الأمة

(119) مسلم كتاب الزهد والرقائق، حديث 64، ولم يخرجه البخاري.

(120) أيسر التفاسير للجزائري 208/2، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 252/7، جامع البيان للطبري 6/6-7، محاسن التأويل للقاسمي 219/7-220.

(121) سورة الأعراف، الآية 96.

من الوقوع فيها حتى لا يصيبهم ما أصابهم لأن سنة الله عز وجل لا تحابي أحدًا[122]..

الضرب الثاني:

ما جاء في ذم الفاعل:

وأمثلة هذه القاعدة في سورة الأعراف:

1/ قوله تعالى: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ)[123]. في الآية خبر من الله تعالى بوزن أعمال العباد وأن من خفت موازين حسناته وكثرت سيئاته خسر نفسه بإلقائه في جهنم ليخلد في عذاب أبدي، وعلل تعالى لهذا الخسران في جهنم. بأنهم بدلًا من أن يؤمنوا بالآيات وهي واضحات كذبوا بها فكانوا كأنهم ظلموا الآيات ظلمًا حيث لم يؤمنوا بها وهي بينات ففاتهم النعيم المقيم وحصل لهم العذاب الأليم، وكل من فعل ذلك فهو الخاسر في الدنيا والآخرة[124].

2/ قوله تعالى: (لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِين)[125]. في الآية قسم من الله جل ثناؤه، أن من اتبع من بني آدم إبليس وأطاعه وصدق ظنه عليه أن يملأ جهنم منهم، من كفرة بني آدم، أتباع إبليس، ومن إبليس وذريته، فرحم الله امرءًا كذب ظن عدو الله في نفسه وخيب فيها أمله ولم يكن ممن طمع فيه عدوه، واستغشه ولم ينصحه، فإن الله تعالى ذِكرُه إنما نبَّه بهذه الآيات عباده

(122) محاسن التأويل للقاسمي 221/7، تيسير الكريم الرحمن للسعدي 381/1، أيسر التفاسير للجزائري 210/2.

(123) سورة الأعراف، الآية 9.

(124) أيسر التفاسير للجزائري 153/2-154، تيسير الكريم الرحمن للسعدي181.

(125) سورة الأعراف، الآية 18.

على قدر عداوة عدوه وعدوهم إبليس لهم، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم، وبغيه عليه وعليهم، وعرّفهم مواقع نعمه عليهم قديمًا في أنفسهم ووالدهم ليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب، فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم إلى طاعته وينيبوا إليها وفي الآية نهي عن طاعة إبليس واتباعه وأن من فعل ذلك فجهنم مصيره[126]. بل الآية تدل على أن جميع أصحاب البدع والضلالات يدخلون جهنم لأن كلهم متابعون لإبليس[127].

3/ قوله تعالى: (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ)[128]. في الآية نهي وذم لآدم وحواء لأكلهما الشجرة، ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها، وأعلمكما أن إبليس لكلما عدو مبين، يقول: قد أبان عداوته لكما، بترك السجود لآدم حسدًا وبغيًا[129].

وفي قوله (ألم أنهكما) استفهام بتأديب وتأنيب[130].

4/ قوله تعالى: (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)[131]. بعد أن حذر الله تعالى بني آدم من إبليس وقبيله، مبينًا لهم عداواته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام، في سعيه في إخراجه من الجنة، التي هي دار النعيم، إلى دار التعب والعناء، والتسبب في هتك عورته بعد ما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة، ثم نبههم بخطورة العدو

(126) جامع البيان الطبري 449/5.
(127) تفسير الفخر الرازي 47/7.
(128) سورة الأعراف، الآية 22.
(129) جامع البيان للطبري 453/5،
(130) أيسر التفاسير للجزائري 159/2.
(131) سورة الأعراف، الآية 27.

من حيث أنه يراهم هو وجنوده، وهم لا يرونهم، ثم أخبر تعالى أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، وذلك حسب سنته في خلقه، فالشياطين يمثلون قمة الشر، والخبث، فالذين لا يؤمنون قلوبهم مظلمة لانعدام نور الإيمان فيها فهي مهيأة لقبول الشياطين وقبول ما يوسوسون به ويوحونه من أنواع المفاسد والشرور كالشرك والمعاصي على اختلافها، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين، وكبرهان على هذا الولاء بينهم أن المشركين إذا فعلوا فاحشة و خصلة ذميمة قبيحة شديدة القبح ونهوا عنها احتجوا على فعلهم بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها.

ففي الآية تحذيرٌ شديدٌ من الشيطان وفتنته لاسيما أنه يرى الإنسان والإنسان لا يراه.

قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يُرَون لقوله: (من حيث لا ترونهم) وقيل جائز أن يروا، لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى: قال النحاس[132] يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، قال القشيري[133]: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم، وفي الخبر إن الشيطان (يجري من بني آدم مجري الدم)

(132) النحاس: هو إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم الأسدي الحلبي الحنفي النحاس، ولد سنة 630هـ وسمع من يوسف ابن خليل فأكثر عنه، توفي سنة 750هـ، انظر ترجمته كاملة في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ج1، ص 119.

(133) القشيري: هو عبدالمنعم بن أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن أبوالمظفر القشيري النيسابوري آخر أولاد الشيخ وفاة، عاش سبعًا وثمانين سنة وحدث عن البيهقي كثيرًا، انظر ترجمته في العبر في خبر من غبر للذهبي، ج1، ص 253.

قال تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة.

وقد خرج البخاري[134] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، وذكر قصة طويلة، ذكر فيها أنه أخذ الجن الذي كان يأخذ الثمر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: " ما فعل أسيرُك البارحة ؟ حتى قال له: أتدري من تحدث منذ ثلاثة ؟ إنه إبليس صدقك وهو كذوب. وفي مسلم[135] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان المدنية ".

يقول: جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله.

5/ قوله تعالى: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ* فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ)[136]. في الآية بيان لعدله وحكمته ومظاهر قدرته فهو المبدئ والمعيد والهادي والمضل، له الملك المطلق والحكم الأوحد، فكيف يعدل به أصنام وأوثان ؟ هدى فريقًا من عباده فاهتدوا وأضل آخرين فضلوا ولكن بسبب رغبتهم عن الهداية وموالاتهم لأهل الغواية فاتخذوا الشياطين أولياء فضلوا ضلالًا بعيدًا. وهم يحسبون لتوغلهم في الظلام والضلال – أنهم مهتدون والفريق الذي حق عليهم الضلالة، إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد الحجة، باتخاذهم

(134) رواه البخاري مع الفتح في الصحيح باب إذا وكل رجلًا، ج8، ص 368.

(135) رواه ابن حيان، ج6، ص 173.

(136) سورة الأعراف، الآيتان 29– 30.

الشياطين نصراء من دون الله، وظهراء، جهلًا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق، وأن الصواب ما أتوه وركبوه. وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحدًا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عنادًا منه لربه فيها.

فكل من شرع في باطل، فهو يستحق الذم والعذاب سواء حسب كونه حقًّا، أو لم يحسب ذلك، وهذه الآية تدل على أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين، بل لابد فيه من الجزم والقطع واليقين، لأنه تعالى عاب الكفار بأنهم يحسبون كونهم مهتدين، ولولا أن هذا الحسبان مذموم، لما ذمهم بذلك[137].

6/ قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ)[138]. في الآية بيان جريمة من يقول على الله ما لم يقله، أو كذب ما قاله، والأول هو الحكم بوجود ما لم يوجد، والثاني هو الحكم بإنكار ما وجد. والأول دخل فيه قول من أثبت الشريك لله سواء كان ذلك الشريك عبارة عن الأصنام أو عن الكواكب أو غير ذلك، ويدخل فيه قول من أثبت البنات والبنين لله تعالى، ويدخل فيه قول من أضاف الأحكام الباطلة إلى الله تعالى والثاني يدخل فيه قول من أنكر كون القرآن كتابًا نازلًا من عند الله تعالى، وقول من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اختلفوا في المراد بذلك النصيب على قولين.

(137) أيسر التفاسير للجزائري 164/2-165، جامع البيان الطبري 468/5-469، تفسير ابن كثير 285/6، تفسير الفخر الرازي 63/7.

(138) سورة الأعراف، الآية 37.

القول الأول: أن المراد منه العذاب، والمعنى ينالهم ذلك العذاب المعين الذي جعله نصيبًا لهم في الكتاب. ثم اختلفوا في ذلك العذاب المعين. فقال بعضهم هو سواد للوجه وزرقة للعين.والدليل قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقال الزجاج هو المذكور في قوله تعالى (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ) [139] وفي قوله: (يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)[140] وفي قوله (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ) [141] فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم.

القول الثاني: أن المراد من هذا النصيب شيء سوى العذاب واختلفوا فيه فقيل: هم اليهود والنصارى يجب لهم علينا إذا كانوا أهل ذمة لنا أن لا نتعدى عليهم وأن نذب عنهم فذلك هو معنى النصيب من الكتاب. وقال ابن عباس، ومجاهد و سعيد بن جبير[142]، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، أي: ما سبق لهم في حكم الله وفي مشيئته من الشقاوة والسعادة، فإن قضى الله لهم بالختم على الشقاوة أبقاهم على كفرهم، وإن قضى الله لهم بالختم على السعادة نقلهم إلى الإيمان والتوحيد، وما كتب لهم من الأرزاق والأعمال والأعمار، واعلم أن هذا الاختلاف إنما حصل لأن لفظ نصيب مجمل محتمل لكل الوجوه المذكورة. وقال بعض المحققين: حمْلُه على العمر والرزق أولى، لأنه تعالى بين أنهم وإن

(139) سورة الليل، الآية 14.

(140) سورة الجن، الآية 17.

(141) سورة غافر، الآية 71.

(142) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ، مولاهم أبو محمد ويقال أبو عبدالله الكوفي التابعي الجليل الإمام الكبير قتله الحجاج بواسط شهيدًا في سنة خمس وتسعين وعمره تسعة وخمسون سنة، سير أعلام النبلاء، ج3،ص 51.

بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم، إلا أن ذلك ليس بمانع من أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلًا من الله تعالى، لكي يصلحوا أو يتوبوا.

وعلى كل، فالآية تذم هؤلاء الذين افتروا على الله كذبًا أو كذبوا بآياته، وأنه لا أحد أظلم منهم[143].

7/ قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)[144]. في الآية بيان شناعة وفظاعة جريمة من يدعو من دون الله حتى إذا جاءهم ملك الموت وجنده، يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة. قالت الرسل أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم، لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذي هو خالقكم وخالقهم، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء؟ فهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه؟ فأيهم الأشقياء؟ فقالوا: ضلوا عنا أولياءنا الذين كنا ندعو من دون الله، جاروا وأخذوا غير طريقنا وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا. يقول الله جل ثناؤه: وشهد القوم حئنذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله، جاحدين وحدانيته.

واختلفوا في وقت مجيء الرسل: على قولين: الأول المراد قبض الأرواح، لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى، قال ابن عباس الموت قيامة الكافر، فالملائكة يطالبونهم بهذه الأشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ والتهديد، وهؤلاء الرسل هم ملك الموت وأعوانه.

---

(143) تفسر الرازي 7 ، ص 75، الجامع لأحكام القرآن القرطبي 2639/3، جامع البيان الطبري 478/5، أيسر التفاسير للجزائري 171/2، تفسير ابن كثير 293/6.

(144) سورة الأعراف، الآية 37.

القول الثاني: وهو قول الحسن، وأحد قولي الزجاج[145] أن هذا لا يكون إلا في الآخرة (رسلنا) المقصود بهم ملائكة العذاب يتوفون مدتهم عند حشرهم إلى النار على معنى أنهم يستكملون عدتهم، حتى لا ينفلت منهم أحد.

وقوله (أينما كنتم) معناه: أين الشركاء الذين كنتم تدعونهم وتعبدونهم من دون الله بمعنى أين الآلهة الذين تدعون؟ (ضلوا عنا) أي بطلوا وذهبوا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين عند معاينة الموت.

واعلم أن على جميع الوجوه، فالمقصود من الآية زجر الكفار عن الكفر. لأن التهويل بذكر هذه الأحوال مما يحمل العاقل على المبالغة في النظر والاستدلال والتشدد في الاحتزاز عن التقليد[146].

8/ قوله تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ)[147]. في الآية إخبار من الله تعالى عن مصير الضلال والذين أضلوهم فيقال لهم ادخلوا في النار مع أمم تقدم زمانهم زمانكم، وهذا يشعر بأن الله تعالى لا يدخل الكفار بأجمعهم في النار دفعة واحدة، بل يدخل الفوج بعد الفوج، فيكون فيهم سابق ومسبوق، ويشاهد الداخل من الأمة في

(145) الإمام الزجاج: هو أبو اسحاق إبراهيم بن محمد السدي الزجاج البغدادي النحوي مصنف كتاب معاني القرآن، وله كتب أخرى، مات سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي وجماعة ، شذرات الذهب، ج1، ص 259-260.

(146) جامع البيان الطبري 481/5-482، تفسير ابن كثير 294/3، محاسن التأويل للقاسمي 7، ص 76، أيسر التفاسير للجزائري 172/2.

(147) سورة الأعراف، الآية 38.

النار من سبقها، ويلعن بعضهم بعضًا فيتبرأ بعضهم من بعض، أختها، أي: في الدين، فالمشركون يلعنون المشركين واليهود تلعن اليهود، والنصارى تلعن النصارى، وكذا المجوس والصابئة، وسائر أديان الضلالة حتى إذا تلاحقوا واجتمعوا في النار وأدرك بعضهم بعضًا، واستقر معهم قالت أخراهم دخولًا في النار لأولاهم دخولًا فيها الذين كانوا قبلهم في الدنيا أول منهم تقدمتها وكانت لها سلفًا وإمامًا في الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك، ودعونا إلى عبادة غيرك، وزينوا لنا طاعة الشيطان، فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا. قال: حصل لكل أحد من العذاب ضعف ما يستحق، ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون، ما بكل فريق منكم من العذاب ويجوز أن يكون المعنى ولكن لا تعلمون يأهل الدنيا مقدار ما هم فيه من العذاب[148].

الضرب الثالث:

ما جاء مجيء ترتيب العقاب على الفعل:

ومن أمثلة هذه القاعدة في سورة الأعراف:

1/ قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[149]. في الآية بيان جريمة التكذيب بآيات الله تعالى والاستكبار عنها، فقال: وأما من كذب بآيات رسلي الذين أرسلتهم إليهم، وجحد توحيدي، وكفر بما جاء به رسلي، واستكبر عن تصديق حججي وأدلتي، واستكبر عن

(148) تفسير الرازي 7، ص 77-79، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 3/2640-2641، جامع البيان للطبري 5/182-183.

(149) سورة الأعراف، الآية 36.

العمل بها كما استكبر عن الإيمان بها، فأولئك البعداء من كل خير، وأن من فعل ذلك فإنه متوعد بدخول نار جهنم ماكثون فيها لا يخرجون منها أبدًا[150].

2/ قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ)[151]. في الآية يخبر الله تعالى بأنه لا أظلم ولا أجهل ولا أضل ممن يفتري على الله الكذب فيقول اتخذ ولدًا أو أمر بالفواحش، أو حرم كذا وهو لم يحرم، أو كذب بآياته وأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه فجحد حقيقتها ودفع صحتها أولئك أي من فعل ذلك، فافترى على الله الكذب، ينالهم نصيبهم من الكتاب يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ من خير وشر وسعادة وشقاء. وقيل إن هذا في الدنيا أما في الآخرة فمن فعل ذلك فهو من أصحاب النار هم فيها خالدون ولا سعادة مع دخول النار[152].

3/ قوله تعالى: (وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)[153]. في الآية بيان جريمة الضلال عن سبيل الله والإضلال عنه، و أن هؤلاء مصيرهم إلى النار، وتقول أولى كل أمة سبقت في الدنيا لأخراها الذين جاؤوا من بعدهم، وحدثوا بعد زمانهم فيها، فسلكوا سبيلهم واستنوا سنتهم، قد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله جل ثناؤه. بمعصيتنا إياه وكفرنا بآياته، بعد ما جاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر، فهل أنبتم إلى طاعة

(150) انظر ابن كثير 293/6، أيسر التفاسير للجزائري 170/2، جامع البيان للطبري 477/5، فتح القدير للشوكاني 473.

(151) سورة الأعراف، الآية 37.

(152) جامع البيان للطبري 478/5، ابن كثير 393/6، أيسر التفاسير للجزائري 171/2-172.

(153) سورة الأعراف، الآية 39.

الله وارتدعتم عن غوايتكم وضلالكم؟. فانقطعت حجة القوم وخصموا ولم يطيقوا جوابًا قال الله لجميعهم: فذوقوا جميعكم، أيها الكفرة عذاب جهنم[154].

4/ قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)[155]. في الآية التحذير الشديد من التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها وبأنه لا تفتح لهم أبواب السماء أي أن الجنة في السماء، ولا يؤذن لهم في الصعود إلى السماء ولا تطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة، وقيل لا تنزل عليهم البركة والخير، لأن الأرواح إنما تكون سعيدة إما بأن ينزل عليها من السماء أنواع الخيرات، وإما بأن يصعد أعمال تلك الأرواح إلى السموات وذلك يدل على أن السماوات موضع بهجة الأرواح. فإذا لم تفتح لهم أبواب السماء فهذا من أعظم أنواع الوعيد والتهديد، ولقد وقف الله دخولهم الجنة بدخول الجمل في سم الخياط وهذا من المحال وثبت في العقول أن الموقوف على المحال محال، وجب أن يكون دخولهم الجنة ميؤوسًا منه قطعًا وعلم من ذلك أن مصيرهم إلى النار[156].

5/ قوله تعالى: (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)[157]. في الآية بيان عاقبة الظلم، ومهاد وغواش أي أغطية من النار،

(154) جامع البيان للطبري 484/5.
(155) سورة الأعراف، الآية 40.
(156) تفسير الرازي 7، 80-81، أيسر التفاسير للجزائري 171/2-173.
(157) سورة الأعراف، الآية 41.

وكما جزي هؤلاء المكذبين المستكبرين والمجرمين يجزي بعدله الظالمين لأنفسهم حيث لوثوها وخبثوها بالذنوب والآثام، وأن من فعل ذلك فإن مصيره جهنم[158].

6/ قوله تعالى: (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)[159]. في الآية تحذير من الاغترار بالدنيا حتى لا ينسى العبد آخرته فلا يعد لها ما ينفعه فيها من الإيمان وصالح الأعمال فعرض الله جزاءهم الذي اقتضى حرمانهم وعذابهم ليكون ذلك عظة وعبرة للكفار من قريش ومن سائر الناس فقال تعالى: (ۚ الْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ) أي: نتركهم في عذابهم كما تركوا يومهم هذا فلم يعملوا له من الإيمان والصالحات، وبسبب جحودهم لآياتنا الداعية إلى الإيمان وصالح الأعمال. قال مجاهد في قوله ننساهم قال نتركهم في النار[160].

وهذا كله ترتيب العقاب على الفعل.

(158) أيسر التفاسير للجزائري 173/2، جامع البيان للطبري 491/5.

(159) سورة الأعراف، الآية 51.

(160) أيسر التفاسير للجزائري 17/2– 179، جامع البيان للطبري 510/5.

الخاتمــة:

طفت في ثنايا هذا البحث على دلالة لفظ النهي عند الأصوليين، وحرصت فيه على استكمال جوانب الموضوع، واستقصاء مسائله بقدر الطاقة فالكمال لله وحده.

و قد توصلت إلى عدة نتائج من أهمها:

1- أن أساس التكليف في الشريعة الإسلامية قائم على الأمر والنهي.

2- أن النهي في الاصطلاح هو استدعاء ترك الفعل بالقول على وجه الاستعلاء.

3- اتفق الأصوليون على أن النهي في الأمور الحسية يدل على الفساد.

4- النهي عن التصرفات الشرعية يدل على الفساد إذا كان النهي متوجهًا إلى المحل المقصود.

5- إن صيغة النهي إذا تجردت عن القرينة دلت على التحريم.

التوصيات:

1- يجب الربط بين القاعدة وتطبيقاتها الفقهية لأن التطبيقات هي المقصودة من تلك القواعد.

2- الاهتمام بدراسة دلالة النهي في النصوص الشرعية.

3- تأصيل تطبيق القواعد على أصولها.

4- يجب على جمهور المكلفين فهم لفظ النهي بدلالة النصوص.

المصادر والمراجع:

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: الكتب والمراجع

1- الآمدي، سيف الدين أبو الحسن على بن أبي علي ابن محمد،الإحكام في أصول الأحكام، الطبعة الأولى 1387هـ، طبعة مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض.

2- الظاهري، على بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري، ت456هـ،الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م.

3- الشوكاني، محمد بن علي،إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق محمد سعيد البدري.مكتبة البازالتجارية، مكة، الطبعة الرابعة 1414هـ -1993م،

4- قاسم، يوسف قاسم، أصول الأحكام الشرعية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية 1411هـ 1991م.

5- حسب الله، علي حسب الله، أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى 1406هـ.

6- الخضري، محمد الخضري بك، أصول الفقه، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة 1409هـ - 1988م.

7- شيبة الحمد،عبدالقادر شيبة الحمد، إمتاع العقول بروضة، الأصول، جامعة الإمام محمد بن سعود بدون تاريخ.

8- الجزائري،أبو بكر جابر الجزائري،أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر، مكتبة جامع العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة 1418هـ- 1997م.

9- بهادر، بدر الدين بن بهادر بن عبدالله الشافعي745هـ، البحر المحيط في أصول الفقه،تحقيق عبدالقادر العاني وعمر سليمان الأشقر، وزارة الشؤون الإسلامية الكويت، الطبعة الثانية 1413هـ - 1992م،.

10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت774هـ، تفسير ابن كثير، تحقيق مصطفى السيد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي، وعلي أحمد عبدالباقي، الطباعة الأولى، 1425هـ، دار الكتب للملايين.
11- الرازي، فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،، الناشر مطبعة دار الفكر، بدون تاريخ.
12- مخلوف، على بن مصطفى مخلوف، التفسير الوجيز على هامش الكتاب العزيز.
13- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، الطبعة الأولى 1407هـ - 1992م.
14- الكوذاني، محفوظ بن أحمد أبو الخطاب الكوذاني الحنبلي ت 510هـ،التمهيد في أصول الفقه، تحقيق مفيد محمد أبو عمشة، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة، الطبعة الأولى 1406هـ - 1996م.
15- القرطبي،أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،671هـ، الجامع لأحكام القرآن،، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
16- المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، 620هـ،روضة الناظر وجنة المناظر، مع شرح نزهة الخاطر العاطر، تحقيق عبدالقادر بن بدران، بدون تاريخ.
17- ابن ماجة،محمد بن يزيد القزويني،275هـ، سنن ابن ماجة، المكتبة العلمية، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، د. ت.
18- السجستاني، سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي،275هـ، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد، دار الفكر بيروت، د.ت.

19- الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي،279هـ، سنن الترمذي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر، الطبعة الثانية 1403هـ-1983م.

20- ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي الحنبلي(ابن النجار)،792هـ، شرح الكوكب المنير في أصول الفقه، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض 1413هـ -1993م.

21- الزوزني، الحسن بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بدون تاريخ.

22- النووي،أبو زكريا بن شرف النووي، 676هـ، صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة 1404هـ-1984م.

23- العسقلاني،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، 852هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، الطبعة الثانية 1403هـ -1983م، إشراف محي الدين الخطيب.

24- الشوكاني،محمد بن علي الشوكاني 1250هـ،فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، اعتني به وراجع أصوله، يوسف العوش، طبعة دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1426هـ - 2006م.

25- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بدون تاريخ.

26- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، طبعة الفكر، بدون تاريخ.

27- القاسمي، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي،1283هـ - 1332هـ، محاسن التأويل، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية بدون تاريخ.

28- الشنقيطي، محمد الأمين الشنقيطي،مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، دار القلم، بيروت 1396هـ.

29- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي،505هـ، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبدالسلام الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1413هـ -1993م.
30- الشيباني، أحمد بن حنبل الشيباني،241هـ،، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي.
31- ابن الحاجب، عثمان بن عمر (ابن الحاجب)،منتهي الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م.
32- البيضاوي و الإسنوي، منهاج الوصول في علم الأصول، القاضي البيضاوي ومعه منهاج العقول لمحمد الحسن البدخشي ونهاية السول، عبدالرحيم الإسنوي، مطبعة محمد بن علي صبيح وأولاده، بمصر، بدون تاريخ.
33- الشاطبي،أبو محمد إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي القرناطي، 790هـ،الموافقات في أصول الشريعة،تحقيق عبدالله دراز ومحمد عبدالله دراز،دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
34- صفري و حاوي، مطاع صفري وإيليا حاوي،موسوعة الشعر العربي، اختارها وشرحها وقدم لها مطاع صفري وإيليا حاوي، شركة خياط للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1974م.

Ammokhtar67@gmail.com